القوات الصهيونية حتى قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في منتصف أيار (مايو) ١٩٤٨.

وقد ازدادت هذه الصعوبات شدة بسبب الموقف المتحيِّز والمانع الذي اتخذته بريطانيا قُبيل رحيلها عن فلسطين. فانسحاب القوات البريطانية التدريجي، الذي بدأ بعد صدور قرار التقسيم وانتهى كليا في منتصف أيار (مايو) ١٩٤٨، لم يكن يعني انتهاء تدخلها كليا في فلسطين أو تنازلها عن نفوذها هناك. فقد أعدّت بريطانيا نفسها لمواجهة واقع انسحابها هذا بواسطة تقوية المركز الدولي والعربي والداخلي لحاكم شرقي الأردن، الأمير عبدالله، وإعداده لتولي السلطة السياسية المعترف بها على جميع المناطق الفلسطينية. ففي شهر آذار (مارس) ١٩٤٦، منحت بريطانيا استقلالاً رسميا لشرقي الأردن، وحوَّلت الأمير إلى ملك، وربطت نفسها معه باتفاق «أفضلية بريطانيا»، وفق أنموذج الاتفاقات السابقة التي كانت قد عقدتها مع كل من مصر والعراق؛ الأمر الذي مكنها من المحافظة على حقوقها في هذا البلد، كما كانت أيام الانتداب. لذلك بعد صدور قرار التقسيم، ووضوح النية العربية في التدخل في الحرب، قررت بريطانيا مساعدة الملك عبدالله في السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من فلسطين وضمها إليه، كي تسري عليها بنود معاهدة الدفاع القائمة بين الطرفين، أي عودة القواعد البريطانية إلى فلسطين من باب شرقي الأردن، بشروط أسهل وبفاعلية أكبر. ومن هنا، فان الموقف البريطاني كان أيضا واضحا في عدم تمكين سكان فلسطين العرب من الحصول على الاستقلال السياسي وفق مضمون قرار التقسيم. وقد استغلت إسرائيل هذا الموقف البريطاني، لتحييد الجانب الأردني أو لكسبه، وبالتالي لاختراق الجبهة العربية الموحدة ضدها، وهذا ما حدث فعلاً خلال الحرب، بواسطة خروج الجيش الأردني عن الخطة الاستراتيجية العربية، كما سبق وذكرنا.

لم يكن الفلسطينيون في وضع يمكنهم من مجابهة مخطط كهذا، سواء من الناحية العسكرية والتنظيمية أو حتى من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية. وبالتالي فقد كانوا منجرّين وراء السياسة العربية في فلسطين. ورهانهم الوحيد على موقف مصر وسوريا، اللتين كانتا تعارضان مشروع الملك عبدالله، وتؤيدان منح الاستقلال السياسي لسكان فلسطين بعد انتهاء الحرب؛ إن رفض قرار التقسيم من جانب سكان فلسطين، كان يتطلب توفر إمكانات فائقة لديهم لتجسيد هذا الرفض عمليا، أي منع تطبيق القرار كلياً. وبسبب عدم توفر هذه الامكانات، تحولوا إلى ضحية لسياسات ومصالح متناقضة، ووجدت تعبيرا لها في أحداث حرب ١٩٤٨ ونتائجها.

مراحل الحرب

في هذا الواقع السياسي، بدأت أحداث حرب ١٩٤٨ تتلاحق شهرا بعد آخر؛ حيث كان الاضراب الذي أعلنه الفلسطينيون عقب صدور قرار التقسيم، ثم الأحداث الدموية التي تخللته الشرارة الاولى في هذه الحرب. وكي يسهل علينا رصد أهم أحداث هذه الحرب نقسّمها إلى أربع مراحل: